من تحليل مقتضب للعلاقة القائمة بين العالم الثالث، ومنه العالم العربي بالطبع، وبين ما يسميه «الأمبريالية الغربية» وكيف أن واقع العالم الثالث المتخلف رهين في تحرره بخوض صراع مزدوج: صراع الامبريالية، وصراع ضد ما يسميه «الرجعية المحلية»، وهو لا يمكن أن يقوم بهذا الصراع إلا إذا تسلح بالفكر الاشتراكي العلمي. وعلى الرغم من أن هذا الفكر غربي في منشئه، فهو الذي سيساعده على تجاوز تخلفه باستيعاب الغرب ذاته[2].

وهكذا ينظر «محمد كامل الخطيب» للفن الروائي في سياق الصراع السياسي والحضاري القائم بين الداخل والخارج. وهو يلخص تصوره الإديولوجي المباشر من خلال قوله:

«كلما تقدم المجتمع العربي في عملية تمثُّل واستيعاب الحضارة الحديثة تقدم كذلك في تمثل واستيعاب الأجناس الأدبية ـ وقد اخترنا الرواية مثالاً ـ التي أنتجها الغرب. وكلما ازداد تقدم المجتمع العربي في تمثل الغرب واستيعابه، ازداد نطاق هذا التمثل على مستوى القاعدة الشعبية. أي كلما تخلخل البناء الاجتماعي القديم (على مستوى الطليعة المثقفة فقط) **استطاع الروائي العربي، إتقان صنعته تكتيكياً، استطاع الفكر والأدب ـ خاصة ـ أن يمارسا دورهما في التعبير والتأثير، والتحول من مجرد العكس الميكانيكي لواقع متخلف ومجزّأ إلى التمثل الواعي والتأثير، والمساهمة في بناء مجتمع متقدم، وموحد.** فالفكر والثقافة عامة، لا يمكن أن يمارسا دورهما التقدمي بل والطليعي، وعلى النحو الصحيح إلا في مجتمع «متحضر» أو على الأقل نظيف من الأمية»[3].

إن القاموس النظري المستخدم في لغة الناقد يكفي ـ إذا نحن استعرضناه ـ ليقدم لنا صورة مركزة عن تصوره المنهجي وعن أصول هذا التصور نفسه:

الامبريالية ـ العالم الثالث ـ التخلف الصراع الطبقي ـ التحرر الوطني ـ الرجعية المحلية ـ الفكر البورجوازي ـ البناء الفوقي ـ الفكر الاشتراكي العلمي ـ الدور التقدمي والطليعي ـ الإديولوجية الثورية... إلخ.

يُعلن الناقد من خلال صياغته الخاصة لهذه المصطلحات والتعابير عن تبنيه المباشر للفكر الاشتراكي العلمي كوسيلة لخلاص العالم الثالث، ويعتبر الرواية فناً أدبياً ينبغي أن يسير في ركاب هذه الإديولوجية ليحقق دوره «التقدمي والطليعي». ولا يقدم الناقد بعد هذا توضيحات أخرى عن طبيعة الفن الروائي بشكل خاص.

---

(2) المرجع السابق، ص 6 - 7.

(3) المرجع السابق، ص 9.